ALBAHITH ALALAMI

Vol. 15: Iss. 62, 2023, PP. 1-12

E-ISSN: 2617-9318
P-ISSN: 1995-8005

College of Mass Communication
University of Baghdad

# The Self and the Other in the Dogmatic Discourse

## The Cognitive and Emotional Structure of the Authoritarian and Destructive Personality

**Luai K. Ghabr**[1a]

[1] Department of Psychological Counseling and Educational Guidance, College of Basic Education, Al-Muthanna University, Muthanna, Iraq.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

## Abstract

The philosopher and social psychologist **Erich Fromm** (1900-1980), in his book "**Escape from Freedom**" highlighted the distinction between the "I" of the authoritarian personality and the "I" of the destructive personality based on their stance towards "the other." The former (**the authoritarian self**) relies on a submissive, enslaving formula, where the "I" is the master/dominator/controller/strong, while "**the other**" is the servant/submissive/controlled/weak, essential for perpetuating this formula. In contrast, the latter (**the destructive self**) relies on an annihilating, negating formula, where the "I" is existence/killer/destroyer/persistent, while "the other" is non-existence/killed/destroyed/temporary. From these two formulas stem all extremist violent tendencies and practices.

In a world teeming with such tendencies and practices, delving into the structures of these formulas becomes a **paramount existential necessity**, especially since these formulas permeate every facet of life: personal, political, social, religious, media, economic, and academic, transforming the world into arenas of bloody conflicts, disfiguring the "I" and annihilating the "other."

Researchers have studied the psychological-social dynamics of these formulas. However, there hasn't been a comprehensive approach employing "dogmatism" as discourse to explore the structural essence of these formulas, which this study aims to achieve.

In his book "**The Open and Closed Mind: Investigations into the Nature of Belief Systems and Personality Systems**" social psychologist **Milton Rokeach** (1918-1988) studied the "Dogmatic Mentality": a relatively closed cognitive system of beliefs and non-beliefs organized around a core set of beliefs related to the dangerousness and threat of the world and a middle set of beliefs associated with absolute dominant power. When this structure crystallizes as a discourse, it widens, deepens, and solidifies, dissolving the "**I**" into "**power**" and negating "**the other**" as an independent, equal human entity, becoming, in communicative and media outcomes, material for manipulation and intimidation.

**Keywords:** Authoritarianism, Destructiveness, Dogmatic Mentality, Discourse.

OPEN ACCESS

[a] **Corresponding author**: E-mail address: luaibrhrk@mu.edu.iq, +964 7904331897
**DOI:** https://doi.org/10.33282/abaa.v15i62.1191
**Received:** 30/11/2023, **Accepted:** 12/12/2023, **Published:** 28/12/2023

# الأنا والآخر في الخِطاب الدوغماتي

## البنية المعرفية والانفعالية للشخصية التسلطية والتدميرية

**لؤي خزعل جبر**[1]

[1] قسم الإرشاد النفسي والتوجيه التربوي، كلية التربية الأساسية، جامعة المثنى، المثنى، العراق.

## مستخلص البَحث

الفيلسوف وعالِم النفس الاجتماعي Erich **Fromm** (1900–1980)، في كتابِهِ " **الهروب من الحريَّة** "، بيَّن أن المائِز بين " أنا " الشخصية التسلطية و " أنا " الشخصية التدميرية يتمثَّل بالموقِف من "الآخر"، إذ تعتمد الأولى **(الأنا التسلطية)** على الصيغة الاستعباديَّة الإخضاعيَّة، فالأنا هي السيد /المهيمن/ المتحكم / القوي، بينما **الآخر** هو العبد / الخاضع / المحكوم / الضعيف، وبقاءه ضروري لإدامة هذه الصيغة، في حين تعتمد الثانية **(الأنا التدميرية)** على الصيغة الإفنائيَّة الإلغائيَّة، فالأنا هي الوجود / القاتل / المدمِّر / الباقي، بينما **الآخر** هو العدم / المقتول / المدمَّر / الفاني، فمحو حضوره هو الضروري لإدامة هذه الصيغة، ومِن هاتين الصيغتين تنبثق كل التوجهات والممارسات العُنفيَّة المتطرفة التعصبية.

وفي عالَمٍ يموج بتلك التوجهات والممارسات، يكون الحفر في بنى هاتين الصيغتين **ضرورة وجودية قصوى**، ولاسيما أن تلك الصيغتين تمتدان إلى كل مفاصل الحياة، الشخصية والسياسية والاجتماعية والدينية والإعلامية والاقتصادية والأكاديمية، محولة العالَم إلى ساحات صراعات دموية، مُشوِّهَة للـ " الأنا " وقاتِلَةٌ للـ "آخر".

وقد عَملَ الباحثون على دراسة الديناميات النفسية – الاجتماعية لهاتين الصيغتين، إلا إنَّه لم تتم بحسب التتبع تقديم مقاربة توظف " **الدوغماتية** " كخطاب في استكشاف الجوهر البنيوي للصيغتين. وهذا ما تحاوِل هذه الدراسة انجازه.

وفي كتابِ " **العقل المغلق والمفتوح: بحوث في طبيعة أنساق المعتقدات وأنساق الشخصيّة**"، لعالِم النفس الاجتماعي Milton **Rokeach** (1918–1988) عمل على دراسة "**العقلية الدوغماتية**": نظام معرفي مغلق نسبيًا من المعتقدات واللامعتقدات، منظمة حول مجموعة مركزية من المعتقدات المتعلقة بغابيَّة وتهديدية العالم، ومجموعة وسطى من المعتقدات المتعلقة بالسلطة المهيمنة المطلقة، التي تنتج إطارًا لأنماطًا من اللاتسامح نحو الآخرين، تلك البنية التي عندما تتشكَّل كخطاب Discourse، تتسع وتتعمَّق وتُمأسَس، فتُذيب " **الأنا** " في " **السلطة** "، وتنفي "

**الآخر** " ككينونة بشرية مستقلة مساوية، ليُصبِح – في النتاجات التواصلية الاجتماعية والإعلامية – مادَّةً للتطويع والترويع.

**الكلمات المفتاحيَّة:** التسلطيّة، التدميريّة، الدوغماتيّة، الخطاب.

**أولًا: مُشكلة البحث**

في عالَمٍ يموجُ بالصراعات والكراهيات، لا يَجِدُ فيه الإنسان ذاته إلا طرفًا في علاقة استبعادية، ولا يجد حياته إلا جملة من المواجهات التراجيدية، تنطلق مجموعة من الاسئلة عن مرجعيات وجذور وديناميات تلك الحالة، ما الذي يجعل الإنسان / المجتمع يقضِمُ ذاته والآخرين؟ وما الذي يجعل الإنسان / المجتمع يستبدل التواصل التكاملي بالتواصل التقاطعي؟

في مفهومه المركزي " العقلانية التواصلية " Communicative Rationality، يرى الفيلسوف الألماني (1929) Jurgen **Habermas** إن جوهر الأزمات الشخصية والاجتماعية والمجتمعية يكمُن في " التواصل المشوَّه " عبر " التأويليّة اللغويّة السيَّالة " المحكومة بـ " العقلية الأداتي". "، تلك العقلية المتمركزة حول الذات، والرامية لتحقيق الهيمنة، وإثبات الصوابية، والمشحونة بالانفعالات، في طريقة تأويل الأفعال وإدراك الآخر وسُبل التفاعل، لتتجاوز هذه الأزمات، والخروج من المآزق الفرديَّة والجمعيَّة، وتأصيل الإنسانية بالمعنى العميق، وتحقيق الانعتاق والتحرر، لا بد من اعتماد " العقلية التواصلية " الساعية لـ " الفهم والتفاهم" الدقيق والنزيه وليس " الغلبة والهيمنة والدفاعية "، وتبادل الرؤى والقناعات بشكل " ايثاري اتفاقي عقلاني مساواتي " وليس " أناني قسري صراعي انفعالي سلطوي ".

**هل يمكِن تتبع ذلك في السيكولوجية البشرية في النزعات السلبية الرامية لتحقيق الهيمنة، وتكاثُف تلك النزعات ضمن بنيات معرفية، وتشكُّلها في سياق مؤسسي؟ وهل يُمكِن القول بأن انتهاك الأنا والآخر والتواصل التقاطعي يكمُن في النزوع التسلطي والتدميري، والعقل الدوغماتي، والخِطاب الدوغماتي؟** هذا ما ستحاوِل الدراسة الحالية انجازه.

**الشخصية التسلطية والتدميرية**

رأى الفيلسوف وعالِم النفس الاجتماعي (1900–1980) Erich **Fromm**، في كتابِهِ " **الهروب من الحريَّة**"، أن الروابط الأولية التي تمنح الأمن للفرد عندما تنقطع، وعندما يواجه الفرد العالم الذي خارجه بوصفه كيانًا منفصلًا، ينفتح أمامه مسلكين ما دام عليه أن يتغلب على حالة العجز والوحدة التي لا تطاق. **فالأول** يمَكنه من التقدم نحو الحرية الايجابية، فيمكن أن يصل نفسه عفويًا بالعالم في الحب والعمل، وفي التعبير الصادق عن قدرته الانفعالية والحسية والعقلية، ويستطيع

بذلك أن يتحد بالإنسان والطبيعة وذاته من جديد، دون التخلي عن استقلال وسلامة ذاته الفردية، و**الثاني** يتراجع ويتخلى عن حريته، ويحاول التغلب على وحدته بإزالة الفجوة التي نشأت بين ذاته والعالم، فهو هروب من وضع لا يحتمل، فإذا طال يجعل الحياة لا تطاق، عبر التخلي عن فردية وسلامة الذات، فيخفف القلق غير المحتمل، ويجعل الحياة ممكنة، إلا إنه لا يحلّ المشكلة الأصلية، وثمنه نوع من الحياة يتألف من النشاطات الآلية أو الإلزامية فقط، وأهم وأوسع آليتين – ذات دلالات ثقافية – للثاني هما: التسلطيّة والتدميريّة.(فروم، 2009، الصفحات 176–177)

- **التسلطيّة** Authoritarianism: ميل الفرد إلى التخلي عن ذاته الفردية، وتذويب ذاته في شخص أو شيء خارجه لاكتساب القوة، وبتعبير آخر البحث عن روابط ثانوية تحلّ محلّ الروابط الأولية المفقودة، وأشد أشكال هذه الآلية تظهر في الخضوع والسيطرة، المازوخية والسادية، وتتجلى **المازوخية** في مشاعر الدونية والعجز والتفاهة الفردية، وإبداء التواكل على القوى الخارجية (الناس والمؤسسات والطبيعة)، والخضوع للأوامر الفعلية والمتخيلة للقوى الخارجية، والشعور بأن الحياة شيء قاهر القوة، غير قابل للسيطرة والتحكم، و**السادية** توجد بثلاثة أنماط متشابكة: أن يجعل الفرد الآخرين يعتمدون عليه ويكون له سلطان مطلق عليهم، واستغلالهم واستخدامهم وجعلهم يتألمون، وتتستر – هذه الميول السادية – بتشكلات وتبريرات ارتدادية خيرية من قبيل: "إنني أسيطر عليك لأنني أعرف ما الأفضل لك، وفي مصلحتك أن تتبعني دون معارضة " و" لقد قمت بالكثير من أجلك، وأستحق الآن أن أخذ منك ما أشاء" و" لقد آذاني الآخرين، ورغبتي في إيذائهم ليست إلا قصاص "، والسادي مُتَّكِل على موضوع ساديته، فرغم أنه يبدو شديد القوة والتأمُّر، وموضوع ساديته شديد الضعف والخضوع، يظهِر التحليل الدقيق أن السادي يحتاج إلى الشخص الذي يسيطر عليه، ويحتاج إليه كثيرًا ما دام شعوره بالقوة راسخًا في أنه سيّد لشخص ما، ويمكن أن يعطيه الحق في كل شيء إلا أن يكون حرًا ومستقلًا، وكلا الميلان– المازوخي والسادي– حصيلة حاجة أساسية واحدة هي الطلوع من العجز عن تحمل الفرد لعجز وضعف ذاته، فكلاهما تواكُل، بمعنى اتحاد ذات فردية واحدة بذات أخرى، سلطة خارج الذات، بطريقة تجعل كل طرف يفقد سلامة ذاته، ويتواكل كل منهما على الآخر، فالسادي يحتاج إلى موضوعه بمقدار ما يحتاج المازوخي له، فتارةً أذيب نفسي في سلطة خارجية، وأخرى أوسع نفسي بجعل كائن آخر جزء من نفسي، فأكتسب بذلك القوة التي تعوزني بوصفي ذاتًا مستقلة، فالعجز عن تحمل الفرد وحدة ذاته الفردية هو الذي يفضي إلى دافع الدخول في علاقة تواكلية مع شخص سواه، ويتحدد موقف الشخص التسلطي من الحياة وفلسفته الكلية بالمجاهدات الانفعالية، فالتسلطي يحب تلك الأوضاع التي تحد الحرية الإنسانية، ويحب الخضوع للقدرية، ولا يوجد في فلسفته مفهوم المساواتية، فالعالم لديه يتألف من أناس ذوي قوة وأناس بلا قوة، من الأعلين والأدنين، لذلك

يعيش إمّا بالسيطرة أو بالخضوع، ولا يعيش التضامن. (فروم، 2009، الصفحات 178–208)

- **التدميرية** Destructiveness: لا تهدف التدميرية– كما في التسلطية – إلى التواكل الإيجابي أو السلبي مع الموضوع، بل إلى أزالته، وهي كذلك راسخة في عدم احتمال الفرد لعزه وعزلته، إلا إن الهروب من الإحساس بالعجز مقارنة بالعالم الخارجي يتم القضاء عليه، وتهدف السادية إلى دمج الموضوع، والتدميرية إلى إزالته، وتميل السادية إلى تقوية الفرد المفكك بالسيطرة على الآخرين، والتدميرية بغياب كل تهديد من الخارج، وقد استعمل الحب والواجب والضمير والوطنية لتبرير التدميرية، ولا تزال تستعمل أقنعة لتدمير الفرد للآخرين أو نفسه. ويجب التمييز بين نوعين من الميل التدميري: **الأول:** (العقلاني) ينتج عن وضع خاص كرد فعل على حياة وسلامة الفرد أو الآخرين، أو بناءً على الأفكار التي يتماثل معها، وهذا النوع مصاحب طبيعي وضروري لتأكيد الفرد لحياته، **والثاني:** (اللاعقلاني) حاضر باستمرار في الشخص، ولا ينتظر إلا فرصة ليعبر عن نفسه، شغف داخل الشخص ينجح في العثور على موضوعه، وبالنظر إلى الدور الهائل الذي تؤديه الميول التدميرية في السلوك البشري، فلا يكفي تفسيرها بالانعزال والعجز، بل هناك القلق وإحباط الحياة، فتهديد المصالح الحيوية المادية والانفعالية يخلق القلق، والميول التدميرية هي رد الفعل الأعم على هذا القلق، والتهديد يمكن أن يحدده في وضع معين أشخاص معنيين، فتثار التدميرية ضد هؤلاء الأشخاص، وقد تكون قلقًا دائمًا ناشئ عن إحساس يساويه بأن العالم في الخارج يهدده، فينجم عن وضع الفرد المنعزل والعاجز، كما أن ذلك الوضع يولد إحباط الحياة، حيث ينسد أمام الفرد المنعزل والعاجز السبيل لتحقيق إمكاناته الحسية والانفعالية والفكرية، ويفتقر إلى الطمأنينة الداخلية والعفوية، والانسداد الذي تزيده المحرمات الثقافية للذة والسعادة، فالتدميرية هي حصيلة الحياة غير المعيشة. (فروم، 2009، الصفحات 209–213)

- **الأنا والآخر في التسلطية والتدميرية:** يتضح مما سبق، إن كلا مِن " أنا " الشخصية التسلطية و" أنا " الشخصية التدميرية لا عقلانيتين، مأزومتين، مُقادتين بشعور الفرد بعزلته وعجزه وقلقه وإحباطه، نتيجة أوضاع فردية واجتماعية سالبة للعيش، والاختلاف بينهما يتمثَّل بالموقِف من " الآخر"، حيث تعتمد الأولى **(الأنا التسلطية)** على الصيغة الاستعباديَّة الإخضاعيَّة، فالأنا هي السيّد / المهيمن / المتحكم / القوي، بينما **الآخر** هو العبد / الخاضع / المحكوم / الضعيف، وبقاءِه ضروري لإدامة هذه الصيغة، في حين تعتمد الثانية **(الأنا التدميرية)** على الصيغة الإفنائيَّة الإلغائيَّة، فالأنا هي الوجود / القاتل / المدمِّر / الباقي، بينما **الآخر** هو العدم / المقتول / المدمَّر / الفاني، فمحو حضوره هو الضروري لإدامة هذه الصيغة. ومِن هاتين الصيغتين تنبثق كل التوجهات والممارسات العُنفيَّة المتطرفة التعصبية، فا**لمحتوى** Content الانفعالي والمعرفي للشخصيتين، أما **البنية** Structure فهي غير مدروسة في هذا السياق، تلك البنية

التي تُشكِّل الإطار المعرفي الذي يشتغل فيه المحتويين، وهو ما حاول عالِم النفس الأمريكي Milton **Rokeach** (1918–1988) تحديده، بنظريته عن العقلية الدوغماتية.

**العقلية الدوغماتية**

الدوغماتية Dogmatism بحسب– Rokeach 1954, 1955, 1960 – بنية معرفية، ونمط خاصٍ من الآليات الكليَّة للتفكير، بغض النظر عن محتوى ذلك التفكير، تتمثَّل بالعقل المُغلَق Closed Mind.

- **نسق المعتقدات – اللامعتقدات** Belief–Disbelief System: المعتقد هو كل توقع أو حالة ضمنية أو استعداد مسبق للفعل، نستدل عليه من قول الفرد وفعله، والمعتقدات لا تتواجد على نحو مُفكَّك ومتناثر ومستقل في البنية المعرفية، وإنما تنتظم في أنساق، وبشكل أساس في نسقين متفاعلين هما: **نسق المعتقدات** (كل المعتقدات والتوقعات والافتراضات – الشعورية واللاشعوريّة – التي تُعدُّ حقيقية عند الفرد في زمن معين)، و**نسق اللامعتقدات** (كل المعتقدات والتوقعات والافتراضات – الشعورية واللاشعورية – التي تُعدُّ خاطئة عند الفرد في زمن معين). ونسق اللامعتقدات يضمّ جملة أنساق فرعيَّة، تتعدد بتعدد التوجهات الفكرية المغايرة، ومدى أو شدّة رفض كل واحد من تلك الأنساق الفرعيَّة يعتمد على مدى التشابه مع ما يعتقد به الفرد، كما لا يمكن عدّ نسق اللامعتقدات مجرّد صورة مرآتيه لنسق المعتقدات، فكلّا منهما له تركيبته الخاصة. كما يمتلك نسق المعتقدات واللامعتقدات جملة خصائِص أخرى، تتواجد لدى الأشخاص بدرجات متفاوتة:

- **الانعزال** Isolation: درجة التقارب والتباعد بين معتقدين، يؤكده التعايش المشترك للمعتقدات المتناقضة في نسق المعتقدات (آلية التفكير المزدوج المصممة لتحقيق رغبة الفرد بأن يرى الاتساق في نفسه عندما يحمِل معتقدين متناقضين، كما في التعبير عن مناهضة العنف، وفي الوقت ذاته تبريره في ظروف معينة)، وتضخيم الفروق وتقليل التشابهات بين نسقي المعتقدات واللامعتقدات (إنكار التشابهات مع المغايرين، وتأكيد الاختلافات، بهدف تجنب تهديد مصداقية نسق المعتقدات، كأن يعتقد الفرد باختلاف أيديولوجيته أو دينه عن الأيديولوجيات والأديان الأخرى بشكل كبير، ويُغفِل نقاط التشابه)، وإدراك عدم الصِلة (عند التعرّض لدليل مُخالِف ومُهدِّد لنسق المعتقدات بحسب المعايير الموضوعية، يميل الفرد لرؤيته على أنه غير ذي صلة بنسق معتقداته)، وإنكار التناقض (عند وجود تناقض في نسق المعتقدات، يميل الفرد لإنكاره ويعدّه تفاهة واضحة، أو صدفة، أو الاستثناء المُثبِت للقاعدة، أو يعزوه لصعوبة الوصول للوقائع الحقيقية، أو وصف المصادر المتاحة للمعلومات بالمتحيزة).

- **التمايز** Differentiation: درجة التفاصيل في نسق المعتقدات ونسق اللامعتقدات والأنساق الفرعية للامعتقدات، ومدى تمايز نسق المعتقدات عن نسق اللامعتقدات، ومدى تمايز نسق لامعتقدات فرعي عن الأنساق الفرعية الأخر، وتؤكده الكمية النسبية من المعرفة المختزنة (الشخص يمتلك حقائق وأفكار وأحداث وتفسيرات كثيرة متسقة مع نسق معتقداته، بينما لا يمتلك معرفة كثيرة عن المعتقدات المغايرة، كما قد يعرف عن نسق لامعتقدات فرعي لديه أكثر مما يعرفه عن نسق فرعي آخر)، وإدراك التشابه بين الأنساق الفرعية للامعتقدات المتجاورة (مدى إدراك تماثل أو تباين نسقي لا معتقدات فرعيين).

- **الشمولية** Comprehensiveness: المدى والعدد الكلي لأنساق اللامعتقدات الفرعية المستدمجة ضمن نسق المعتقدات – اللامعتقدات.

- **النطاقات المركزية والوسطى والهامشية** Central, Intermediate and Peripheral Regions: النطاق المركزي يمثل المعتقدات الأوليَّة الأساسيَّة عند الشخص عن طبيعة العالم والذات والآخرين، والنطاق المتوسط يضم معتقداته عن طبيعة السلطة والناس بلحاظ علاقتهم بالسلطة وأولئك الذين يعتمد عليهم في تكوين صورته عن العالم، بينما يشمل النطاق الهامشي المعتقدات المشتقة من السلطة.

**فالنطاق المركزي** Central Region: إن محتوى النطاق المركزي أساس فهم الجوانب الوظيفية والدينامية لنسق المعتقدات – اللامعتقدات، بمعنى المحتوى المحدد للمعتقدات الأولية عن العالم الطبيعي والاجتماعي ومفهوم الفرد عن ذاته ومفهومه للآخرين، فهذا المحتوى جوهري للتنظيم الشكلي البنيوي لبقية النسق، فكل شخص يكون في حياته المبكرة جملة معتقدات راسخة غير قابلة للتشكيك، أشبه بالبديهيات، بخصوص عالمه: **الطبيعي** (اللون والشكل والصوت والمكان والزمان والتكوين والعلاقات...)، **والاجتماعي** (حميمي أم عدائي، والسلطة محبة أو عقابية، والناس موثوقون أم مهددون، والمستقبل آمن أم مجهول ...)، **والذاتي** (هوية الذاتي، والاستقلالية – الاعتمادية، وقيمة الذات ...). والمعتقدات في النطاقين الآخرين (المتوسط، والهامشي) ينبثقان من معتقدات هذا النطاق، ويرتكزان عليه.

**أما النطاق المتوسط** Intermediate Region: المعتقدات المرتبطة بطبيعة ايجابية وسلبية السلطة المعتمدة في تكوين صورة العالَم، والسلطة هي أي مصدر للمعلومات عن الكون، وفحص تلك المعلومات. ولا يختلف الناس في الاعتماد على السلطة، وإنما في طبيعة السلطة المعتمدة، حيث تمتد من الاعتماد العقلاني المؤقت على السلطة إلى الاعتماد الاعتباطي الاطلاقي، كالاعتقاد بوجود سلطة طبيعية خارقة وسلطة بشرية مطلقة، والقناعة بوجود سبب حقيقي واحد، وصفوة واحدة. وفي الاعتماد العقلاني يكون البعد النفسي بين السلطة الايجابية والسلبية ليس بضخامة ما يوجد

في الاعتماد الاعتباطي، كما أن السلطات السلبية تمتد على متصل التشابه مع السلطة الايجابية، والمهم في معتقدات السلطة في هذا النطاق هو البعد الشكلي وليس المضموني، وبالتوازي مع السلطة يضمّ هذا النطاق معتقدات بخصوص الناس ناظرة لعلاقتهم بالسلطة، فعندما تعدّ السلطة مطلقة يتولد تباعد معرفي متطرف بين المؤمنين وغير المؤمنين، والموالين والمعارضين، والأصدقاء والأعداء، فيوصف المخالفين بأعداء الله أو الوطن أو البشرية أو الطبقة العاملة أو العلم أو الفن.

**والنطاق الهامشي** Peripheral Region: كل المعتقدات واللامعتقدات غير الأوليَّة المنبثقة من السلطة الايجابية والسلبية، وبتعبير آخر المعتقدات التفصيلية عن آلاف الموضوعات المبنية على المعتقدات المركزية والمتوسطة، والمهم هو الصِلات الداخلية البنيوية بين المعتقدات الهامشية، والعلاقات البنيوية بين هذه المعتقدات والمعتقدات المركزية والهامشية، إذ تمثِّل المعتقدات الأخيرة مُرشِّح المعالجة الترميزية للمعلومات، حيث يحدث التفكير ضمن سياق نسق المعتقدات – اللامعتقدات، فتمر المعلومات – بداية – عبر المعتقدات الأوليَّة، فترفض أو تضيّق المعلومات، ثم عبر معتقدات السلطة، فنجد مثلًا أن الناس يتجنبون – بشكل انتقائي – التعرض للمنبهات والأشخاص والأحداث والكتب المهددة لصدق أيديولوجيتهم والداعمة للإيديولوجيات المنافسة، وقد يحدث التضيّق على المستوى المؤسَّسي (رقابة وحضر رسمي، كتحديد قائمة بالكتب المحرَّمة، وإتلاف وإحراق الكتب الخطرة، وتحديد الأعداء الإيديولوجيين، ومنع التقارير الإخبارية في الوسائل الإعلامية غير الداعمة لنسق المعتقدات المؤسَّسي، وإعادة كتابة التاريخ)، كما قد يحدث على المستوى اللامؤسَّسي (التقييد الشخصي والاجتماعي المنظم لنشاط الفرد؛ لتجنيبه الاتصال بالناس، والكتب والأفكار والأحداث الاجتماعية والدينية والسياسية المهددة لمصداقية نسق معتقداته والمؤكدة لزيف نسق لامعتقداته).

- **المنظور الزماني** Perspective–Time: معتقدات الشخص بخصوص الماضي والحاضر والمستقبل، وطبيعة ارتباط هذه الأزمنة، التي تمتد من المنظور الضيّق إلى الواسِع، فالواسِع يتضمن استيعاب كل الأزمنة في نسق المعتقدات – اللامعتقدات، وإدراك الترابط الحميم بين كل الأزمنة، بينما يتضمن الضيق التأكيد المفرط والثابت على أحد هذه الأزمنة دون تقدير للاستمرارية والصِلات الرابطة.

- **الأنساق المغلقة والمفتوحة** Systems Open and Closed: **النسق المغلق** يتصف بارتفاع رفض أنساق اللامعتقدات الفرعية، وانعزال العناصر ضمن وبين أنساق المعتقدات – اللامعتقدات، والتناقض الكبير في درجة التمايز بين أنساق المعتقدات واللامعتقدات، والتمايز القليل ضمن أنساق اللامعتقدات، كما أن المحتوى الخاص للمعتقدات الأولية المرتبطة بعالم الفرد، وموقفه في اللحظة الراهنة يتمثل بالتهديد، والمحتوى الشكلي لمعتقدات السلطة والناس المرتبطين بأنساق

السلطة يتمثل بالاطلاقي، وتقبل ورفض الناس بحسب اتفاقهم ومخالفتهم لتلك السلطة، وبنية المعتقدات واللامعتقدات المشتقة من السلطة مفككة ومنعزلة، والمنظور الزماني ضيق. بينما **النسق المفتوح** بالعكس، يتصف بانخفاض رفض أنساق اللامعتقدات الفرعية، واتصال العناصر ضمن وبين أنساق المعتقدات – اللامعتقدات، والتناقض القليل في درجة التمايز بين أنساق المعتقدات واللامعتقدات، والتمايز المرتفع ضمن أنساق اللامعتقدات، كما أن المحتوى الخاص للمعتقدات الأولية المرتبطة بعالم الفرد، وموقفه في اللحظة الراهنة يتمثل بالحميمية، والمحتوى الشكلي لمعتقدات السلطة والناس المرتبطين بأنساق السلطة يتمثل بالعقلاني، وتقبل ورفض الناس لا يتم بحسب اتفاقهم ومخالفتهم لتلك السلطة، وبنية المعتقدات واللامعتقدات المشتقة من السلطة مترابطة، والمنظور الزماني واسع.

- **الحاجة لتفادي التهديد** The Need for Ward off Threatening: الشعور العميق والمؤلم والراسخ بالتهديد يمثل الجذر الانفعالي للدوغماتية: النسق المغلق، والمولِّد لحاجة ماسَّة لتفاديه، وذلك الشعور نتيجة الضغوط القامعة الخارجية (ضغط المكافآت والعقوبات من السلطات الخارجية، كالآباء والأقران ورموز السلطة الأخرى والمعايير المؤسساتية والاجتماعية والحضارية والجماعات المرجعية)، والبواعث الداخلية اللاعقلانية (العادات والمعتقدات والدوافع اللاعقلانية، وحاجات القوة، والحاجة لتضخيم الذات، والحاجة لتسكين القلق)، التي تُنتِج المُدركات المشوَّهة للمتطلبات الموقفية الواقعية. فلا يتمكن الفرد –بالنتيجة – من إدراك عالمه الشخصي والاجتماعي بدقة وموضوعية؛ بسبب نسق المعتقدات – اللامعتقدات المغلق. (Rokeach, 1954, pp. 194–204; 1960, pp. 31–70; Rokeach, McGovney, & Denny, 1955, pp. 87–93)

- **الأنا والآخر في العقلية الدوغماتية:** الأنا – هنا – ينطوي على ذات الفرد، والذوات المؤمنة بمعتقداته، ضمن نسق معتقداته، وكل مختلف يقع ضمن الآخر، ضمن نسق لامعتقداته، فإن كانَت العقلية **مفتوحة** لن تكون هناك فجوة كبيرة بين الأنا والآخر، بل تقارُب وتفاعل، وإن كانت العقلية مغلقة **دوغماتية** ستكون هناك فجوة كبيرة بين الأنا والآخر، وتقاطع وانعزال وكراهية وعدائية، فالآخر يُدرَك على أنَّهُ مختلف إلى حد كبير، وسلبي، وتكون العقلية تبسيطية يقينية تبريرية غير قادرة على الانفتاح والتقارب والتفاعل مع الآخر، بل مكرسة للانفصال والصراع.

**الخطاب الدوغماتي**

الخِطاب Discourse مصطلح لساني، يتميز عن النص والكلام والكتابة بشموله لكلّ إنتاج ذهني، شعري ونثري، منطوق ومكتوب، فردي وجمعي، ذاتي ومؤسسي، له منطق داخلي وارتباطات مؤسَّسيَّة. وفي كتابيهِ: " **نظام الخِطاب** " و " **حفريَّات المعرفة** "، يُشير الفيلسوف الفرنسي Michel **Foucault** (1926–1984) إلى أن إنتاج الخطاب في كل مجتمع إنتاجٌ مُراقَبٌ ومُنتَقَىٌ

ومُنظَّمٌ ومُعَادٌ توزيعه من خلال إجراءات عِدَّة للحد من سلطته ومخاطره، والتحكم في حدوثه المحتمل، وإخفاء ماديته الثقيلة والرهيبة، ولعل أهم تلك الإجراءات هي **الخارجية** المرتبطة بالسلطة والرغبة، والتي تتمثَّل بـ:

1. **المنع**، لا يمكن قول كل شيء في كل ظرف من كل أحد، فهناك موضوع لا يجوز الحديث عنه، وطقوس خاصة بكل ظرف، وخصوصية ممنوحة للذات المتحدثة.
2. **القسمة والرفض**، هناك خطاب العقل وخطاب الحُمق، الأول يوصف بالمنطقية والتماسك، ويُقبَل ويتداوَل، والثاني يوصف بالفراغ وانعدام القيمة، ويُرفَض ولا يتداوَل.
3. **إرادة الحقيقة**، هناك الحقيقية والزيف، فهناك خطاب مالِكٌ للحقيقة يجب الخضوع له، وآخر فاقِدٌ للحقيقة يجب مناهضته.

كما أنَّ هُناك إجراءات **داخليَّة**، تعمل كمبادئ للتصنيف والتنظيم والتوزيع، تتمثَّل بـ:

1. **التعليق**، حيث في كل مجتمع محكيات ونصوص كبرى أساسية توجه وتراقب وتشكل نسق الخطاب في العصور المختلفة، كالنصوص المقدسة في الخطاب الديني.
2. **المؤلف**، المؤلف لا كالفرد تحدَّث أو كَتَب، بل كمبدأ لتجميع الخطابات، ووحدة وأصل لدلالات الخطابات.
3. **الفروع العلمية**، الالتزام بالتخصصية والمنهجية والتقنية لحقل معين، حيث يعترف كل حقل معرفي – ضمن حدوده وشروطه – بقضايا صحيحة وأخرى خاطئة، ويقذف إلى هوامشه بمسخ المعرفة.

وإلى جانب هذين النمطين، هناك الإجراءات **الكُبرى** لإخضاع الخطاب، التي تحدد شروط استعمال الخطابات، وقواعد تلقي الخطابات، لتقليل عدد الذوات المتكلمة، فليست كل مناطق الخطاب مفتوحة بنفس الدرجة، فبعضها محروس وممنوع علانية، والآخر مفتوح للجميع، وتتمثَّل بـ:

1. **الطقوس**، عملية تحديد المواصفات الواجبة للمتكلمين، والحركات والظروف والسلوكيات وكل مجموع العلامات المرافق للخطاب،
2. **المذاهب**، الدينية والفلسفية والسياسية، الاستعمال المشترك لنفس المجموعة الواحدة من الخطابات يعرف عدد من الأفراد انتمائهم المتبادل، بشرط الاعتراف والقبول بحقائق وقواعد موحدة، حيث يتم إخضاع الذوات المتكلمة للخطابات، وإخضاع الخطابات لجماعة المتكلمين،
3. **التملُّك الاجتماعي للخطابات**، كل منظومة تربوية هي طريقة سياسية للإبقاء على تملك الخطابات، أو لتعديل ذلك التملك، بجانب ما تحمله هذه الخطابات من معارِف وسلطات. (فوكو، 1987، الصفحات 19-66؛ 2007، الصفحات 4-44)

وفي سياق ذلك، **ما معنى الخِطاب الدوغماتي؟** فالخطاب الدوغماتي ذلك الخطابُ الذي تُنتِجهُ العقلية الدوغماتية، أو بتعبير آخر، تلك المنظومة الفكرية والقيمية المنبثقة من معطيات العقلية

الدوغماتية، فالدوغماتية – كبنية معرفية ومضمون تسلطي وتدميري – بقيت تتحرَّك ضمن السياقات الفردية والاجتماعيَّة، إلا أنها قد تتحوَّل – بعوامل تاريخية – إلى السياق الجمعي الثقافي عندما تتكرَّس كخطابٍ مُهيمن، تشتغل عليه الإجراءات الثلاثة المحددة بشكل عميق، ولاسيما أن تلك الإجراءات – في الجوهر – مرتبطة بالخطابات المغلقة.

هُنا تقع **الأنا** ضمن المُتاح / العاقل المقبول / الحقيقة، بينما **الآخر** ضمن الممنوع / الأحمَق المرفوض/ الزيف، بالاستناد إلى النصوص المُقدَّسة / قصدية المؤلف / التخصصية، وتحديد الطقوس / المذاهب / التملك للتعاطي مع هذه الخطابات التقاطعية الاستبعادية. ومع تشكُّل هذا الخطاب تتسع وتتعمَّق وتُمأسَس القطيعة بين الأنا والآخر، فتُذيب " **الأنا** " في " **السلطة** "، وتنفي " **الآخر**" ككينونة بشرية مستقلة مساوية، ليُصبِح – في النتاجات التواصلية الاجتماعية والإعلامية – مادَّة للتطويع والترويع، فيتكوَّن – ويُصمَّم – التواصل لتشكيل الآخر وتطويعه وفق الرؤية الإيديولوجية للخطاب المُهيمن، وتشكيله وفق مقاسات الأنا، وبالتالي وفق مقاسات السلطة، ولتحقيق ذلك قد يعتمد الترويع، كما يعتمد عند مواجهة أدنى مقاومة للتطويع مِن الآخر، فبدلًا من أن يكون التواصل وسيلة للانفتاح على الآخر، والتفاعل والتكامل معه، والاغتناء به، يصبح أداة للانغلاق والتقاطع والتزييف والكراهية.

## المصادر والمراجع

فروم، إ. (2009). الهروب من الحرية (م. م. الهاشمي، المترجمون). دمشق: الهيئة العامة السورية للكتاب.

فوكو، م. (1987). حفريات المعرفة (س. يفوت، المترجمون). بيروت: المركز الثقافي العربي.

فوكو، م. (2007). نظام الخطاب (م. سبيلا، المترجمون). بيروت: دار التنوير.

## Funding

**None**

## ACKNOWLEDGEMENT

**None**

## CONFLICTS OF INTEREST

**The author declares no conflict of interest**

## References

Foucault, M. (1987). *L'archéologie du savoir* (S. Yafut, Trans.). Beirut: Centre Culturel Arabe.

Foucault, M. (2007). *L'Ordre du discours* (M. Sabila, Trans.). Beirut: Dar Altanweer.

Fromm, E. (2009). *Escape from Freedom* (M. M. Al-Hashemi, Trans.). Damascus: Syrian General Organization of Books.

Rokeach, M. (1954). The nature and meaning of dogmatism. *Psychological Review*, *61*(3), 194-204. https://doi.org/10.1037/h0060752

Rokeach, M. (1960). *The open and closed mind: investigations into the nature of belief systems and personality systems*. Basic Books.

Rokeach, M., McGovney, W. C., & Denny, M. R. (1955). A distinction between dogmatic and rigid thinking. *The Journal of Abnormal and Social Psychology*, *51*(1), 87-93. https://doi.org/10.1037/h0040666